ريبورتاج .. عن حزيران عابر

- ١ -

بين أنقاض حزيران التقينا
أنا والموت ، تداخلنا ، اشتعلنا وأضأنا
وعلى أرصفة النكسة قابلت كثيرين ـ اعذروني
فالعدد ،
صار شيئاً ونقيضه ـ
قال لي الراوي الذي أصبح شعباً في جسد :
« بآسم مليون شريد مرة اخرى ،

ومليون ذراع في السلاسل
بآسم طفل ، مرة أخرى تيتَّم
وعجوز حرموها صفنة الذكرى ،
وتاريخ السنابل
مرة أخرى ،
ومنديل صبيه
حبها نصب على قبر مقاتل
بآسم آتي مدن صارت مخيم
.. وقرى تغرق في ماض محطم
مرة أخرى ،
.. كروم اورقت في الابديه
عبرها دبابة تعوي . وجيش يتقدم
بآسم قتلى دفنتهم
في شقوق الصخر ، في الصهد ، رياح بربريه
لا تسلني أي شيء تركوا ، أي وصيه
وعن اسم همسوه
لحظة الموت .. فاني لست أعلم .

بآسم شعب جعلوه
عبر اعوام من الحزن .. إلهاً في جهنم
بآسم شعبي .. اتكلم ! »
(وطفونا . وغرقنا
وعلى الجرح خبونا
وعلى الجرح احترقنا ..)

كل زيتون الجليل
كل ازهار الجليل
وحساسين الجليل
عرفته .. وأحبته . وباست راحتيه
راعياً كان ، وفناناً أصيل

صوته ، يحفظه عن ظهر قلب
كل سفح ومطل وسبيل
صوته زفرة ناي ، وانتفاضات طبول

لم يزر معهد موسيقى .. ولكن الحقول
لم تبع للاسطوانات العجيبه
نكهة الصوت البدائي الجميل ..
راعياً كان .. وغنى
قبل أن يسقط فيما بعد . والصحف تقول :
« عثرت دورية الأمن ،
على عنصر تخريب .. قتيل »
راعياً كان .. وغنَّى قبل أن ...
(أحبائي مضوا شرقاً وغربا
وفاتوني لنار الشوق نهبا
لعودتهم نذرت فماً وقلبا
فشاخ فمي . وقلبي ذاب ذاب
كل العيون عيوني ..
سلاماً يا أحبائي سلاما
من الجرح الذي صلى وصاما
دمي صوت وصيحاتي خزامى
وأنتم صامتون بلا جواب

كل العيون عيوني
أعينوني على جرحي أعينوا
أهدهده ويوقظه الحنينُ
يهون الأمس لو عدتم يهون
فملء غدي الطفولة والشباب
كل العيون عيوني ..)

- ٣ -

أشعل النيران في جلبابه الصوفي ،
ألقى فوقه فضلة صبره
صار أيوباً جديدا
بلغ الكشف فعاد الدهر عن زرقة شعره .
عندما قابلته في ردهة الحزن تبسَّم
قال لي والخنجر المسموم مغروس بصدره :
« أخطأ الله كثيرا ،
ما على العبد إذا العبد تكلم .. » .

وبكى في ردهة الحزن وغنّى
للتي صارت نعيماً وجهنم :
أجسادك الكثيره
محبوكة في جسدي
ويوم صارت حولك القلوب
طبول جيش عاد بالبيارق الكسيره
تقمَّصتْ تغريبتي الصخور والدوالي
وفي أتون زهرك البري
تعمدت أصابعي . وجبهتي تعمَّدت
وقبل أن يلوي بك الغروب
صعدتُ بالظهيره ..
أجسادك الكثيره
محبوكة في جسدي . يا زوجتي الفقيره
لذا جرعت علقم التاريخ كله
حتى أصير عسلي
هذا الذي أورثه ذريتي .
فليُسعد الأودية الكئيبه

غموضها وفهمها
وليُسعد الجبال في صفنتها الرهيبه
أن تشرب الصوت الذي أصرخه
من قبل ان تنقله إليكِ
ليرتمي صاعقة في ملتقى يديكِ
في جسدي محبوكةٌ
أجسادك الكثيره
وها أنا أرتقب الصواعق
في الثمر الناضج مثل حبنا
وها أنا أنتظر الخوارق
في خطوتي الأولى إلى رحابك
فانتظريني .. انتظري ..
بالزاد والماء ، أمام بابك .
في جسدي أجسادك الكثيره
يا زوجتي الأسيره
وكل أسراري التي اختفت تعود
من حزننا .. تعود

من موتنا .. تعود
بياسمين حبنا تعود ..
وحيث أشتهي تدور الكرة الأرضية
تدور مثل حدقه
أستلُّها من محجرَيْ جنّيه
وفي طقوس الرجم والصعود
تزدحم القامات بين حاجبيّ
ووجهك الموعود
يطل . آه وجهك المعبود ،
يطل من نقع التواريخ ،
وقد مددتُ لاستقباله كفّيّ .

ـ ٤ ـ

خطاه قداس على الأعتاب
تهللي ايتها الارصفة الحزينه
تزيَّني ايتها الساحات والقناطر

وليخرج الحزانى
بغصن زيتون وياسمينه
خطاه قداس على الأعتاب
فانفتحي لملك المجد الذي أقبلَ ، يا أبواب
خطاه قداس ..
وفي فكّيه مزمور
عن العدوان والثمار
والموت والخلاصة :

بيدٍ اغلق ابواب جراحي
ويدي الأخرى على باب الصباحِ
نصل سفّاح على حنجرتي
وعلى وجهي تهاويل الأضاحي
قبضة الجبهة لا تمهلني
لحظة .. ما بين ذبح وانذباح
لم تزل نيرانهم مفتوحةً
ودمي ينزف فُلاًّ وأقاحي

أنـــا أوجـاع مـــلايـــين صحت
فصحت غضبـــة حق مستبـــاح
مـن رخـــام الأمس دوّى ألمي
يا سدود انتظري دَين اكتساحي
أبـــذر الشمس عـلى مستقبـــلي
واشج الليل عن فضل وشاحي
فـــاضربـــوا أوتـادكم في وطني
انها لـعـبـــة قش وريـــاح
حـــرِّمـوا الـــدوح عـــلى بلبله
وأبيحـــوا لكمـو غـــير المبـاح
سـأكيـل الصـاع صـاعـين لكم
نـاقلاً نـاريَ من ساح لسـاح
مخـلب الصـقـــر أنـــا قلّمـتـــه
أمس . فليكبر على حد سلاحي
تـــتـــحـــدى زهـــرتي دبـــابـــة
فاسحقوها ، تزدهر كل بـطاحي

من محيـــطي لخليجي لم يـــزل
صاعداً يكتسـح الموتَ جنـاحي
وطـــني جنَّـــة عـــدني ، وانـــا
حـارس الجنَّـة من كف وقـاح
وأرى حـــولي رؤوســـاً اينعـت
وانـا قـاطفهـا بـأسم جـراحي
غـضبـي يحـرق مـن يـشـعـله
غضبي القـــادم ريحـــاً بلقـــاح
فـافهموا يـا سـادتي ، أخبـركم
انني صاح ، اعيد القول ، صاح
ألف هـــولاكـو انـــا اغـرقتهم
في دياجيري ، واطلعت صباحي
ينتهي العـــدوان غيـــاً عـــابـرا
وانـا ابقى ، وحبي ، وكفاحي .

- ٥ -

جرعَ الكأس الممهولة .. دمعاً بدماء
وأزاح رماد الأفق ، وقال :
« وطني بطاقات البريد
وطني . وكرتات الاعاشه
وطني : ونيسان جديد
وصلت بشيرته الفراشه . »

- ٦ -

أخذَ الحكمة عن كتب الحزن ، وكان عليه
ان ينجز امراً ما ..
حدَّثني من زهرة نار في سيناء ولم يسترسل :
« ويقول المثل الموروث من جيل لجيل
السنونوَّة لا تخلق في الأرض ربيعا
ويقول المثل الموروث من جيل لجيل

كل حق خلفه طالبهُ ،
لا . لن يضيعا .. »
قلت له ،
وهو يغيب لينجز امراً ما :
(لو انني أملك ان تكون
خاتمة الآباء
وأول الابناء
يهون ما كابدته .. يهون
وملء جفنيَّ اموت .. باسما .)

ـ ٧ ـ

المارد يطلع من مارد
وملايين تنبض في الساحات
تنبض في الساحات .. تموج تغني . تبكي .
قلباً واحد
وفماً واحد :

لسنا شعب الخامس من شهر حزيران
نحن ككل شعوب الأرض
نملك ايام السنة الشمسيه
والسنة القمريه
نعزف كل فصول الحب ونعرف كل فصول البغض
نعرف حزن الجَزرْ
ونعرف عنف المد
لسنا شعب الخامس من شهر حزيران
فليفهم مستر هولاكو
وليفهمْ مستر جنكيز خان
وليفهم كل قراصنة التاريخ
في الماضي ، والحاضر ، والمستقبل
وليفهم كل الأسياد وكل الأعوان :
أقوى من كل الجنرالات
وكل الدبابات
وكل النفاثات
وكل الغواصات

وكل الرادارات .. الخ ..

أقوى منها

كف الانسان على مقبض منجل

هذا درس الماضى والحاضر ..

فلنتعلم .. للمستقبل !

(حزيران ١٩٧٠)